الأهرام

المصدر: الأهـــرام

التاريخ: ٢٤ أغسطـــس ١٩٩٦

الشيشان فى حلقة اللاحرب واللاسلم

لاحظ جميع المراقبين الدوليين والمحليين الروس الضجة التى احدثتها التصريحات الأخيرة للجنرال الكسندر ليبيد، مبعوث الرئيس الخاص للشيشان وسكرتير مجلس الأمن القومى. ومنها تشبيهه الوضع فى روسيا وفى الشيشان حاليا بانه اصعب من خلفية عدم الحفاوة الجماهيرية الشعبية بعودة الجيوش الروسية من افغانستان بعد ٩ سنوات من الحرب فى اخر سنوات الاتحاد السوفيتى السابق.. وأنه لا يمكن حل المعضلة الشيشانية بالقوة العسكرية.

رسالة موسكو:

عبد الملك خليل

والمثير أن يعقد ليبيد هذه المقارنة فى مؤتمر صحفى قبل أن يقدم تقريره إلى الرئيس يلتسين حول التسوية فى الشيشان يوم الاثنين المقبل ٢٦ اغسطس.

وكان بروج - دون تصديق من الجميع - بأن يلتسين موافق على بدء سحب القوات الروسية من الشيشان مع مقدم الأول من سبتمبر القادم.

غير أن شواهد الوضع تفضى إلى تباين اختلاف التصريحات - وبخاصة من وعد يلتسين - عن الواقع كالفرق بين الأرض والسماء.

وبينما لاحت فرصة تنطوى على أمل بوقف إطلاق النار فى الشيشان بين مقابلة ليبيد للزعيم الشيشانى سليم خان بنديايف والجنرال اصلان مسخادوف فى الأسبوع الماضى مما قد يقرب من العمل معا بين القوات الحكومية الروسية والمقاومة الشيشانية على تشكيل لجنة حكومية مشتركة لمراقبة وقف إطلاق النار، والبدء بعمليات فض الاشتباك تهاوى هذا الأمل بعد تصريح مباغت من الجنرال قنسطنطين بوليكوفسكى قائد القوات الروسية فى الشيشان.

وفى تقدير البعض أن ما أدلى به من تصريح لهو موقف خطير واستفزازى ينبئ بالتراجع عن الاتفاق الشفهى لليبيد مع قيادة المقاومة الشيشانية.

ويتمثل الاستفزاز فى تصريح إنذارى من بوليكوفسكى مساء الاثنين ٩٦/٨/١٩ ومفاده أنه «سالم تنسحب قوات المقاومة الشيشانية من مواقعها الحصينة فى جروزنى، وترك جروزنى على الحالة التى كانت عليها فى ٦ اغسطس قبل الاقتحام المظفر الأخير للمقاومة الشيشانية، فإن بوليكوفسكى سيشن هجوما شاملا على جروزنى، عاصمة الشيشان بعد ٤٨ ساعة من صباح الثلاثاء ٢٠ أغسطس.

ويؤكد الجنرال بوليكوفسكى أن الهجوم الحربى الروسى وارد إذا لم يسمح رجال المقاومة الشيشانية لعشرات الألوف من سكان جروزنى بمغادرتها بحرية.

ومع أن جبهة القتال حاليا غير متسعة نسبيا، فإن الوضع يمكن تشخصيه بانه «لا حالة حرب واسعة ولا حالة سلم واضح المعالم ومستقر».

وترجع اسباب بعض ذلك فى أن المناوشات الحربية مستمرة كل يوم.. وبعدها ومعه تبادل الاتهامات.

ويبدو ان القوات الروسية بإيعاز من مستويات عليا لا تريد قبول الأمر الواقع الذى يؤكد سيطرة المقاومة الشيشانية منذ ١٢ اغسطس ٩٦ على معظم جروزنى، كما ان المقاومة الشيشانية تعزز مواقعها بالعتاد والرجال تحسبا لأية مفاجآت وتتصلات روسية اصبحت من الأمور المألوفة والمعتادة.

وربما من هذه المعالم ان الاتفاق الشفهى بين ليبيد كمستشار الأمن القومى مع الجنرال مسخادوف رئيس اركان المقاومة الشيشانية لم يسفر عن إحلال السلام.

وفيما لم يعرف بعد تفاصيل هذا الاتفاق فلا يعرف أيضا ماذا يحتوى تقرير ليبيد حول الشيشان المزمع ان يرفعه للرئيس يلتسين.

غير ان الأهم هو ان الشيشانيين مصرون على تحقيق شكل من السيادة والاستقلال، ولم يعد ينفعهم نموذج صلاحيات الحكم الذاتى الذى تتمتع به جمهورية «تترستان» داخل نطاق الجمهوريات الداخلة ضمن الاتحاد الروسى.. يرجع ذلك لأن صلاحيات تترستان قد جاءت استنادا إلى الدستور الروسى، وهو دستور قاطعه الشيشانيون ولم يشتركوا لا فى الانتخابات النيابية ولا فى الاستفتاء على الدستور او انتخابات معركة رئاسة روسيا التى فاز بها بوريس يلتسين.

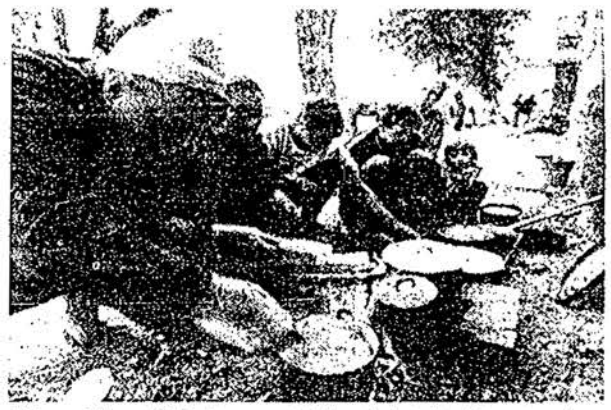

سيدات من جروزنى يقمن بتحضير الطعام بعد عودة حالة الهدوء النسبى هناك

وهكذا يبقى وضع المسائل الأساسية الروسية وفى مقدمتها حالة اللاحرب واللاسلم واللااستقرار تدور فى حلقة مفرغة.

وفى غضون ذلك تتحدث الصحف عن أزمة الجيش الروسى كل يوم، كما يشير الجنرال روخلين رئيس لجنة الدفاع بالبرلمان إلى تزايد حالات الانتحار بين صفوف ضباط القوات المسلحة الذين ضاقوا بوضعيتهم العسكرية المتردية واللامبالاة بدورهم ومكانتهم بين فئات الشعوب الروسية، وعجزهم عن تقديم القوت لذويهم بسبب تأخر صرف مستحقاتهم ومرتباتهم وأجورهم، وعدم توفير المسكن الأمن، بل وحتى التواضع للألوف من العائدين من خارج روسيا، وهم العائدون من دول حلف وارسو السابق ومن جمهوريات بحر البلطيق الثلاث، ومن بعض دول رابطة الكومنولث التى استبعدت الروس تأكيدا لاستقلالها القومى وسيادة صناعة قرارها السياسى والأمنى.

وتبقى تبعات الحرب الشيشانية والتوتر الداخلى فى عموم روسيا مقصورا على ما تنشره الوكالات الروسية الحكومية.. ويلاحظ انه بث لا يخلو من تحريف متعمد وتحيز واضح واستهانة لا يبلغ مداها التعبد، مما أدى وسيؤدى إلى مزيد من فقدان ثقة الإعلاميين الدوليين فيما يقال وما ينشر حافلا بتشويه الحقائق وخلط الوقائع.

والأغرب أن يكتشف أن يلتسين أو أعوانه أو مساعديه قد بعثوا من وراء ظهر ليبيد وبدون علمه برسالة بالفاكس عليها أمر بتوقيع الرئيس يلتسين للقيادات العسكرية الروسية العليا فى الشيشان.

ويحتوى الأمر على إعادة جروزنى إلى سابق وضعها قبل ٦ اغسطس الحالى. ونظرا لأن توقيع يلتسين يعنى توقيع القائد الأعلى للقوات المسلحة الروسية تصور قائد القوات الروسية انه أمر يجب تنفيذه ويلغى ما سبقه من مراسيم رئاسية، ولهذا قرروا إرغام السكان المدنيين على الجلاء من جروزنى تمهيدا لتدميرها لاحقا بكل الوسائل الحربية المتاحة من اخرها، لان المقاومة تسيطر عليها وتحتل بأكثر من الف من العسكريين والضباط بها، وتهدد بنسفهم فى حالة الهجوم الروسى عليها.

وبينما تدور الشكوك حول يلتسين شخصيا يؤكد المتحدث الصحفى باسمه أنه قد طار إلى فالداى الواقعة فى شمال غرب موسكو ليستريح لمدة يومين قبل أن يقرر أين يمضى اجازته الطويلة المنتظرة.

وتشير الدلائل إلى أن ليبيد فى حيرة من أمره إلى مستوى أنه يشك فى حقيقة توقيع يلتسين على الرسالة الفاكسية ويتصور أن مساعدى يلتسين هم الذين بثوا بهذه الرسالة الفاكسية بدون علم يلتسين حتى يحققوا إفشال مهمة ليبيد السلمية التفاوضية فى الشيشان ومن ثم كسر رقبته - على حد قول ليبيد نفسه - بعد علمه بمرسوم يلتسين تعيينه مسئولا مسئولية كاملة عن تسوية المعضلة الشيشانية. وسيظهر توجه ليبيد إلى الشيشان للمرة الثالثة عن أمور كثيرة. والمثير أن تحرك ليبيد من وإلى الشيشان قد أثار ويثير حفيظة بعض الشيوعيين عليه لدرجة أنهم يتهمونه بخيانة سيادة روسيا ووحدة ترابها القومى، كما نشرت ذلك جريدة البرافدا التى تدعى الاستقلال وحماية الشيوعية ورموزها.. وهذا يعنى وجود حزب قومى شوفينى تعصبى عرقى قومى روسى متطرف يضم بين صفوفه يساريين وشيوعيين متطرفين قوميا.

وربما ينسى المشرفون على البرافدا عن عمد أن ادعاءهم الشيوعية الآن قد أصبح من الأمور المشكوك فيها لأن حتى شعار الشيوعية يؤكد نصا مؤداه أن «الشعب الذى يقبل أن يستعبد شعبا اخر هو شعب غير حر، وأنه بذلك يصبح شعبا يوجد القيود والأغلال» الأصفاد لنفسه».

وفى محاولة لتلطيف موقفه قال إنه على استعداد لأن يعرض أمر كوليكوف مجددا على الرئيس يلتسين وأن يعرضه ايضا بحضور كوليكوف معه أمام الرئيس او عرض الأمر لتنسيق وتنظيم العمل بينه وبين الجنرال كوليكوف، مادامت هذه رغبة الرئيس يلتسين التى تتضح فى أن يبقى الجنرال كوليكوف فى موقعه ومنصبه وصلاحياته كوزير للداخلية.

ومن ثم تراجع ليبيد عن تحديه وضغطه على يلتسين ولا يعرف ما إذا كان التراجع حول هذا الموقف أو قد يمتد لغيره من المواقف المرتقبة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية